

التطورات السياسية للقضية الفلسطينية خلال الفترة 1914 - 1936

الاستاذ / مزاح هادي

جامعة لمين دباغين سطيف 02

مقدمة :

تعتبر المرحلة ما بين عامي 1914 - 1936 م من أخطر وأدق المراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية ؛ ففيها اختلف الفراء، وتعددت آراؤهم، وخلالها قدمت بريطانيا كل التسهيلات للحركة الصهيونية وللهجرة اليهودية ؛ وذلك لتحقيق ما وعدت به من قيام وطن قومي يهودي في فلسطين، وأما القيادة الفلسطينية فشهد لها التاريخ بأنها كانت مدركة تماما للخطر البريطاني والصهيوني ، وساعدها في الحماس الشعب ، الذي أشعل الثورات قبل عشرينات القرن العشرين وحتى يومنا هذا ؛ داخل وخارج فلسطين، وقد كانت بريطانيا تتظاهر بأنها تلعب دور الوسيط النزيه ، ففي الوقت الذي كانت تقدم كل الدعم للحركة الصهيونية كانت تعمل على تهدئة الشعب الفلسطيني ، وطالبت من بعض القادة العرب التوسط من أجل حل القضية الفلسطينية ، وتمحور مشكلة البحث حول تطور النشاط السياسي في فلسطين من عام 1914 م حتى عام 1936 م، وفقا للأحداث التي عاشتها فلسطين في تلك الفترة ، وأهمها الدور السياسي البريطاني والأمريكي الداعم للحركة الصهيونية ، والأسباب التي ساعدت على صدور تصريح بلفور في الثاني من نوفمبر عام 1917م؟ وتطور القضية الفلسطينية بعد صدوره ؟

أولا / الحرب العالمية الأولى عام 1914 م وتصريح بلفور:

عند بداية الحرب العالمية الأولى كان السلطان العثماني محمد رشاد الخامس قد أعلن انضمام تركيا إلى جانب ألمانيا ضد الإنجليز وحلفائهم ، فأعلن الجهاد الأكبر ، وفي المدينة المنورة أخرجت راية النبي - صلي الله عليه وسلم - في احتفال عظيم، وأخذت إلى دمشق ثم إلى القدس، وكان في استقبالها في ساحة الحرم القدسي الشريف جمال باشا ومجموعة من الأركان والأعيان ، وكان الهدف من إخراج راية النبي - صلي الله عليه وسلم - هو تشجيع المسلمين على القتال ضد الإنجليز⁽¹⁾، وقام الشريف حسين بإطلاق الرصاصة

1- ارشيدات عصام وآخرون، دراسات في القضية الفلسطينية، دار الكندي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، إربد، 1992، م، ص 164.

الأولى في مكة المكرمة إيداناً منه ببدء الثورة، وسوف نمهد لظروف صدور وعد بلفور من خلال المحطات الآتية: ⁽¹⁾.

1- دور السياسة البريطانية في دعم الصهيونية :

عمل رئيس الوزراء البريطاني " بالمرستون " عام 1840 م على أن تبقى الإمبراطورية العثمانية حية وسلمية ، أملا في الحصول على نصيبها من تركتها ، في حين كانت روسيا وفرنسا تتلهفان على موتها؛ لذلك كان " بالمرستون " يبحث عن محمي مصالح بريطانيا في الشرق الأوسط، فوجد ذلك في اليهود، لهذا دعت بريطانيا منذ عام 1840 م إلى إنشاء وطن يهودي في فلسطين على لسان رئيس وزرائها " بالمرستون " ، الذي أرسل رسالة إلى سفيره في إسطنبول ، شرح فيها الفوائد التي من الممكن أن تحصل عليها بريطانيا والإمبراطورية العثمانية من تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين ⁽²⁾ ، كما أن البارون اليهودي " روتشيلد " أرسل في العام نفسه رسالة إلى " بالمرستون " حثه فيها على دعم إنشاء وطن يهودي في فلسطين ، وأوضح له أيضاً في هذه الرسالة أن قيام هذا الوطن يساعد في منع تحقيق الوحدة العربية بين المشرق والمغرب العربيين، وهنا نجد أن المصالح البريطانية التقت مع المصالح الصهيونية قبل الحرب العالمية الأولى ⁽³⁾.

وقبل صدور تصريح بلفور عام 1917 م ، قدّم الوزير البريطاني اليهودي " هربرت صموئيل "؛ الذي أصبح فيما بعد أول مندوب سُلّم لبريطانيا في فلسطين عام 1920 م، مذكرة إلى حكومته ، وإلى عدد من النواب في البرلمان ، اقترح فيها تأسيس دولة يهودية في فلسطين، تحت إشراف بريطانيا شارحاً فيها الفوائد الاستعمارية المهمة التي ستجنيها بريطانيا من هذه الدولة وهي:

- تشكل مركزاً استراتيجياً مهماً لحماية طرق مواصلات الإمبراطورية إلى الهند وأفريقيا، وللسيطرة على ساحل البحر المتوسط والبحر الأحمر.

- تؤمن حماية الوجود البريطاني في مصر بما فيها قناة السويس ؛ أهم ممر مائي في العالم اقتصادياً وعسكرياً.

- تكون جداراً عازلاً أمام الأطماع المتزايدة للدول الأوروبية المنافسة، ونقطة هجوم على باقي بلاد المشرق العربي.

1- الحوت بيان نوبيض ، فلسطين _ القضية، الشعب، الحضارة _ التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (1917) .

دار الاستقلال للدراسات والنشر ، بيروت ، 1991 م، ص 213.

2- المرجع نفسه، ص 297.

3- نوفل أحمد سعيد ، وآخرون ، الوطن العربي والتحديات المعاصرة ، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، الطبعة الأولى، 1996 م، 13 .

- تشكل قوة تعتمد على بريطانيا وتدين لها بالولاء ، وتشطر الوطن العربي؛ وتمنع الاتصال البري بين مشرقه ومغربيه، ويمكن استخدامها لمحاربة حركات التحرير في الوطن العربي عامة عند الحاجة⁽¹⁾.

من خلال ذلك يتبين لنا الدور المقنع الذي قام به هربرت صموئيل " لصالح بريطانيا، أما حايم وايزمن الذي أصبح أول رئيس للكيان الصهيوني فكتب عام 1914 م إلى أحد الصحفيين البريطانيين: " يمكننا القول عن صواب بأنه إذا سقطت فلسطين في فلك النفوذ البريطاني، وإذا ما شجعت بريطانيا إقامة اليهود هناك، سيصبح لدينا بعد 25 أو 30 سنة مليون يهودي أو أكثر وسوف يقوم هؤلاء اليهود بتطوير البلاد وإثرائها وسيعيدون إليها الحضارة كما أنهم سيشكلون خير دفاع فعلي عن قناة السويس."

ولكن عندما بدأت الحرب العالمية الأولى انشغلت بريطانيا عن الصهاينة وحركتهم، لهذا أصبح المخطط الصهيوني أمله ضعيفا ، وهنا قسّم الصهاينة أنفسهم إلى فريقين سياسيين: فريق يؤيد بريطانيا، والآخر يؤيد ألمانيا، وذلك بهدف الاستفادة في الحالتين؛ أي إذا كسبت بريطانيا الحرب فهي تؤيدهم، وإذا كسبت ألمانيا الحرب فهي تؤيدهم، أي أن الصهاينة اتبعوا سياسة الخداع للدولتين المتحاربتين؛ بريطانيا وألمانيا وحلفائهما.

وفي عام 1916 م قدّم " وايزمن "مشروعة لبريطانيا؛ الذي يطالب فيه بتصريح رسمي مؤيد للصهيونية في فلسطين، إلا أن هذا الطلب واجهه عده اعتراضات؛ لأن رئيس الوزراء البريطاني وقتئذ " اسكوت "، كان يعارض السياسة الصهيونية. وعندما تولى رئاسة الوزراء البريطانية " لويد جورج " المؤيد للسياسة الصهيونية⁽²⁾، عين في منصب وزير الخارجية البريطانية صديقه الصهيوني " بلفور " وذلك في ديسمبر 1916 م، وهنا تغير الوضع السياسي ، وعلى الرغم من ذلك فإن بريطانيا كانت دائما مترددة بشأن السياسة الصهيونية ومطالبها.

2- دور السياسة الأمريكية في دعم الصهيونية:

استمر التردد البريطاني، إلا أن جهود " وايزمن " مع الرئيس الأمريكي " ويلسون " نجحت في تبديد هذا التردد، وبهذا أصبح أمر صدور التصريح قريبا، و أثناء زيارة " بلفور " إلى الولايات المتحدة الأمريكية في يونيو عام 1917 م، قال الرئيس " ويلسون " للحاخام " وايز ": "عندما يأتي الوقت المناسب، وعندما تشعر أنت والقاضي " برانديس " بأن الوقت ملائم للحديث والتصرف، حينئذ فإنني سوف أكون جاهزا." والواقع أن تردد بلفور كان بسبب زيارة " هنري مونغيثو " الفاشلة لتركيا، ولكن عندما قابل " بلفور " " ويلسون " بدأ التشجيع النسبي، ووافق " ويلسون " ووافق " بلفور " على صدور التصريح.

1- ارشيدات عصام وآخرون، مرجع سابق، 35.

2- اليوسف يوسف ساي، تاريخ فلسطين عبر العصور، الأهالي للطباعة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق، 1988 م، 162.

وقال " حاييم وايزمن " عن هذه اللقاءات : إن اجتماع " براندايس " مع " بلفور " في واشنطن ، مكن " براندايس " من إلقاء ثقل شخصيته الاستثنائية بالكامل في كفه الميزان وترجيحه لصالح إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين.

والمعروف أن " وايزمن " اختلف مع " براندايس " في بداية العشرينات ، وأشار " وايزمن " إلى أن الفضل يعود إلى " براندايس " لأنه عمل على كسب تأييد زعماء اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية ، فكان اللقاء بين " براندايس " و " وايزمن " ووقفهما لإقناع " ويلسون " ، وتحركات " براندايس " لوحده ، واستخدامه القوة المؤثرة ، ومعارفه لشخصيات حكومية أمريكية عديدة؛ جعلت " ويلسون " يدعم المشروع الصهيوني الذي تمثل في صدور التصريح.

من هنا كان دور الصهيوني الأمريكي " براندايس " مكملا لدور " وايزمن " الصهيوني البريطاني ، وكان دور الرئيس الأمريكي " ويلسون " مكملا لدور رئيس الوزراء البريطاني " لويد جورج " ، ووزير خارجيته " بلفور " ، وهناك حقيقة لا بد من الإشارة إليها وهي: أن التحركات السياسية هذه ، والتي أشرنا إلى بعضها ، كانت في منتصف القرن العشرين؛ إلا أن الواقع هو أن هذه التحركات ، كانت عبارة عن استكمال للدور الأمريكي الذي بدأ منذ ظهور الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة السياسية ، وبهذا الصدد يقول الدكتور /توفيق يوسف حصو في كتابه " وعد بلفور الحلقة المفقودة " : " أول من دعا في الولايات المتحدة الأمريكية إلى اغتصاب فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها هم من الأمريكيين غير اليهود ، فكان " جون آدمز " ثاني رئيس للولايات المتحدة الأمريكية أول من دعا إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين مما شجع آخرين من الشخصيات الأمريكية على تناول هذا الموضوع وطرحه على أفراد الشعب الأمريكي⁽¹⁾.

والذي لا بد من الإشارة إليه هو ، أن القانون الدولي ، والأعراف الدولية تقول أن هذا الوعد باطلا ، وإن صدوره لا يعني أن شعب فلسطين فقد أرضه ، وأن كل شيء أصبح ملكا لليهود المهاجرين ، فإن الأرض تبقى لأصحابها ، وأن السيادة على فلسطين هي لشعب فلسطين؛ فلا هي من حق " بلفور " ولا " براندايس " ولا " لويد جورج " ولا " ويلسون " ولا " وايزمن " ولا من حق أي منتدب مهما طال الانتداب ، ولا من حق أي مستعمر مهما طال الاستعمار ، فالقانون الدولي يقول إن السيادة للشعب ، لا للمحتل ، ولا للمستعمر ، ولا للمنتدب ، ولا يحق للدولة المنتدبة أن تمنح أرضا غير أرضها لغيرها إلا لأصحابها.

3- صدور تصريح بلفور:

يعتبر تصريح بلفور من أغرب الوثائق الدولية في التاريخ ، لأن من لا يملك أعطي من لا يستحق فبريطانيا تنفقد إلى الأهلية القانونية ، لأن فلسطين ليست ملكا لها؛ حتى يقرر وزير خارجيتها آرثر

1- حصو توفيق يوسف ، وعد بلفور الحلقة المفقودة ، الأردن ، بدون د.ت ، ص 20.

جيس بلفور أن تكون فلسطين وطنًا قوميًا للشعب اليهودي⁽¹⁾.

1-3 نص التصريح:

في الثاني من نوفمبر عام 1917 م كتب وزير الخارجية البريطاني "آرثر بلفور" إلى اللورد "روتشيلد"، يقول: عزيزي اللورد روتشيلد يسرني جدًا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية وقد عرض على الوزارة وأقرته: "إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يكون مفهومًا بشكل واضح أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينقص الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الأخرى، وسأكون ممتنًا إذا أحطمت اتحاد الهيئات الصهيونية علمًا بهذا التصريح⁽²⁾."

والواقع هو أن مسألة تصريح بلفور مسألة طويلة، تحتاج إلى الكثير من السطور والصفحات، إلا أننا نتناولها من الزاوية التي يهدف إليها هذا البحث؛ لأن الشعب الفلسطيني ما زال يعاني من آثار هذا التصريح، فبسببه ما زال يخرج من غربه إلى غربة، ومن منفى إلى آخر، بانتظار غربه جديدة ومنفى جديد.

2-3 أسباب ودوافع التصريح:

وافقت بريطانيا على إصدار تصريح بلفور لأسباب سياسية كثيرة منها سياسية واقتصادية ودينية، ومن هذه الأسباب:

- وقوف بعض البريطانيين إلى جانب الصهيونية من أجل التخلص منهم.
- غياب الأمة العربية وافتقارها إلى قياس اللعبة السياسية وعدم قدرتها على مسيرة الأحداث والتطورات.
- منع قيام وحدة عربية حقيقية بين بلدان الوطن العربي.
- استمرار المؤامرة الأمريكية - الأوربية الاستعمارية في عام 1916 م، عندما وقعت كل من فرنسا وبريطانيا معاهدة سايكس بيكو؛ هذه المعاهدة فصلت شرق الوطن العربي عن غربه؛ حتى لا تحقق الوحدة العربية المنشودة⁽³⁾.

1- ارشيدات عصام وآخرون، مرجع سابق، 33.

2- مذكرات المناضل بهجت أبو غربية 1916 - 1949 م، في خضم النضال العربي الفلسطيني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت، 1993 م، ص 7.

3- ارشيدات عصام وآخرون، مرجع سابق، 35.

النشاط الصهيوني من أجل إصدار التصريح، فبعد أن فشلوا في تلبية مطالبهم عن طريق السلطان العثماني عبد الحميد، كثفوا مجهودهم تجاه بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، فبعد أن استفدوا كل مساعيم مع السياسة البريطانية، انقلبوا على بريطانيا، وتوجهوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ويعد تصريح بلفور باطلا تاريخياً؛ لأن صك الانتداب البريطاني على فلسطين يعد باطلا أصلاً، وذلك لأن المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم تنص على أن إدارة وحكم أي بلد بنظام الانتداب يرجع إلى رغبات سكانه، وبما أن العرب هم أصحاب البلاد، ولم يؤخذ رأيهم لهذا يعد التصريح باطلاً، لأن العرب لم يختاروا بريطانيا كدولة منتدبة على فلسطين، وإنما الذي اختارها لحكم فلسطين هي عصبة الأمم بناء على رغبة الصهاينة.

والمنبث في التاريخ أنه عندما أعلن تصريح بلفور كان عدد اليهود في فلسطين حوالي 56 ألف؛ أي ما يعادل سكان قرية فلسطينية كبيرة، وكان المسلمون والمسيحيون يملكون 97.5 % من أرض فلسطين واليهود مع الوافدين منهم يملكون 2.5 %.

3-3 مرحلة ما بعد إعلان تصريح بلفور:

كان صدور التصريح صدمة كبرى وعنيفة لشعب فلسطين، وذلك لعدة أسباب منها: أنه جاء مناقضاً لليهود التي قطعتها بريطانيا للشريف حسين، لهذا أرسل العرب مذكرة للخارجية البريطانية طلبوا فيها تحديد سياسة بريطانيا اتجاه مستقبل البلاد العربية وفلسطين. واطمأن العرب لأن بريطانيا أخبرتهم أنها ماضية في الاعتراف للعرب بالسيادة والاستقلال. وأن الرئيس الأمريكي "ولسن" نادى بحق الشعوب في تقرير المصير⁽¹⁾. لكن هذا الوعد البريطاني كان بمثابة الطعنة الثالثة للعرب؛ فالأولى كانت معاهدة سايكس بيكو، والثانية وعد بلفور، والمؤكد هو أن مثل هذه الوعود والطعنات ما زال العرب يتلقونها حتى عصرنا هذا، وإن كانت بشكل مختلف حسب تطور العصر.

وقبل إعلان بريطانيا التصريح رسمياً في فلسطين، كانت جريدة المقطم المصرية قد تلقت في 9 نوفمبر 1917م، من مراسلها الخاص في لندن برقية؛ تحتوى على نص التصريح، وكان ذلك نقلاً عن جريدة "جويش كرونكل"، وبعد أربعة أيام وصفت جريدة المقطم المصرية صدى إعلان التصريح لدى يهود الإسكندرية واحتفالاتهم الكبيرة، لهذا اشتد سخط العرب على بريطانيا وعلى اليهود، وتحول هذا السخط إلى اضطرابات ومظاهرات. ورداً على التصريح، تأسست جمعيات فلسطينية عديدة، وانتشر نشاطها في المدن الفلسطينية، وبسبب هذه النشاطات قال وايزمان: "كانوا - أي العرب - يوفدون رسلاً إلى القرى لإثارة الفلاحين ضد اليهود، وتحاول هذه الجمعيات كذلك تنظيم الإرهابيين والمؤسسات السرية، لكي تقوم

1- ارشيدات عصام وآخرون، مرجع سابق، ص 36.

فيما بعد بحرب عصابات ضد اليهود ، وقد انخرط الكثيرون منهم في صفوف رجال البوليس؛ حتى يسهل عليهم تنفيذ مهاجمهم ، كما أن الكثيرين منهم شباب متعلمون جدًا درسوا في أوروبا، وبعضهم يعرف القضية معرفة تامة⁽¹⁾.

وخلاصة القول هو أن مسألة تصريح بلفور مسألة طويلة ، كتب عنها الكثير ، ونحن بدورنا إذا أردنا أن نكتب عنها مطولا، كان يجب علينا أولا أن نكتب عن الاستعمار، وعن كيفية ظهور الصهيونية في منتصف القرن التاسع عشر ، ثم نتابع المؤتمرات الصهيونية بالترتيب؛ من بداية المؤتمر الأول الذي عقد في مدينة بازل السويسرية عام 1897 م، ثم نبين التحركات الصهيونية البريطانية من جهة، والتحركات الصهيونية الأمريكية من جهة أخرى، لكن كتابتنا عن هذا التصريح باختصار في هذا البحث هدفها إثبات بطلانه.

4- أفراد بريطانيا بعرب فلسطين:

لقد وضعت سوريا ولبنان تحت الحماية الفرنسية ؛ حتى تنفرد بريطانيا بعرب فلسطين ، لتساعد على طردهم ليحل محلهم اليهود المهاجرين، حيث سيطرت بريطانيا على جنوب فلسطين، ونشطت التحركات الصهيونية ، وفي العام التالي من صدور التصريح، أي في ابريل 1918 م، جاء "حايم وايزمان" إلى القدس على رأس وفد من اللجنة الصهيونية ، بهدف تنفيذ ما جاء في التصريح، ومن محاولات "وايزمان" الفاشلة⁽²⁾، أنه طلب من الحاكم البريطاني المساعدة في شراء ممر يؤدي إلى حائط البراق ، مقدّمًا عرضًا مغريًا، وهو ثمانية آلاف جنيه إسترليني ، إلا أن عرب فلسطين رفضوا ذلك ، وترجم هذا الرفض في قول كامل الحسيني " : لا يستطيع أي إنسان أن يتصرف بأمالك الوقف ؛ ولا سيما هذا المكان على وجه الخصوص ، ب أي ثمن مهما كان ، حتى ولو كان المشتري مسلم ، فكيف إذا كان المشتري يهوديًا ؟ !ونحن نعرف أهدافهم لامتلاك حائط البرق وما في جوانبه⁽³⁾ .

4-1 بداية الخطط البريطاني:

أعلن عن صدور تصريح بلفور في 2 نوفمبر 1917 م، وقبل هزيمة الدولة العثمانية كانت قد وضعت خطة لحماية القدس، إلا أنها لم تنته بهذه الخطة بعد هزيمتها في الحرب، لهذا ورفع كل من عزت بك متصرف القدس، وكامل الحسيني مفتي القدس، وحسين الحسيني رئيس بلديتها، خطابًا للسلطان العثماني محمد رشاد ينص على ضرورة استسلام القدس، وفعلًا استسلمت القدس، وانسحب الأتراك منها، ودخلتها الحيووش

1- الديباغ مصطفى مراد، **بلاننا فلسطين**، عشرة أجزاء، بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، 2002 م، ص 237.

2- درويش مصطفى، **فضال الشعب الفلسطيني (1948-1920)** ، مجلة شئون عربية، العدد 56، ديسمبر 1988 م، ص 137.

3- الديباغ مصطفى مراد، مرجع سابق، 235-236.

البريطانية وعلى رأسها الجنرال البريطاني " اللنبي"، الذي قال مقولته الشهيرة " : اليوم انتهت الحروب الصليبية."

وبدأت بريطانيا بتنفيذ مخططاتها فعمدت إلى:

- تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين.
- غلق أبواب أوروبا وأمريكا في وجه اليهود، وإبقاء باب فلسطين مفتوحاً أمامهم.
- توظيف الضباط العسكريين والإداريين البريطانيين الذين يؤيدون الصهيونية؛ من أجل تقديم الدعم لليهود في فلسطين.
- العمل على إيجاد قيادة سياسية صهيونية؛ حتى تصبح نواه للحكومة المعلنة.
- العمل على طرد العرب من أرضهم، ويكون ذلك بوضعهم في ظروف سياسية واقتصادية وتعليمية وعسكرية صعبة ، ثم وضع المهاجرين اليهود في أماكنهم.
- العمل على خلق اضطرابات بين العرب واليهود؛ حتى تسهل عملية الهجرة.
- عزل اليهود من سكان فلسطين عن الفلسطينيين المسلمين.
- تعيين " هربرت صموئيل "البريطاني الصهيوني مندوباً سامياً في فلسطين، حيث قال قبل ذهابه إلى فلسطين: " أنا ذاهب إلى فلسطين لتنفيذ الأوامر المتعلقة بتحقيق مشروع دولتي، بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين."

4-2 بريطانيا تجمع 700 ألف يهودي :

على الرغم من ذلك كله، فإن بريطانيا لم تستطع جمع أكثر من 700 ألف يهودي خلال ثلاثين سنة ، وعلى الرغم من عمليات الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية بفعل القوة، وعلى الرغم من شراء بعض الأراضي من العرب الأجانب القاطنين خارج فلسطين، مثل عائلة" سرسقي "و"إيتان"، ولم تتمكن بريطانيا من منح اليهود أكثر من % 6.8 من أرض فلسطين.

وفي عام 1922 م " أصدر " ونستون تشرشل - "الذي كان يشغل وزيراً للمستعمرات - كتابه المعروف ب" الكتاب الأبيض"، وفيه فصل الأردن عن المناطق التي ستقع تحت الانتداب ، وهذا أثار غضب الصهاينة، ولكنهم قبلوا هذا الفصل عندما عرفوا أنه في مصلحتهم ، لأن نظام الانتداب سيصبح في خطر إذا لم يتم هذا الفصل.

والواقع أن فصل الأردن عن مناطق الانتداب، لم يكن نزاهة من بريطانيا، بل كان من أجل أن يصبح شرقي الأردن منطقة تحافظ على أمن إسرائيل، ومن أجل أن تبقى منطقة شرقي الأردن لاستقبال الفلسطينيين المطرودين والفارين من أرضهم ، واتضح هذا في الرسالة التي بعث بها الزعيم الاشتراكي " هارولد لاسكي "إلى القاضي " فليكس فرانكوتر" عام 1931 م، حيث جاء في الرسالة: "إن المشكلة

الاقتصادية في فلسطين بدت غير قابلة للحل، إلا إذا استخدمت الحكومة البريطانية شرقي الأردن لاستيطان العرب"

وفي الذكرى الأولى لتصريح بلفور ، قرر الصهاينة إحياءها، وعندما علم العرب بذلك قرروا التصدي لليهود ، وهدد القائد الانجليزي " ستورز " العرب، إلا أنهم لم يكتثروا تهديداته، والنتيجة أن تصادم الطرفان، وحكم " ستورز " عليهم بالسجن أربعة أشهر، وردًا على هذا الحكم نظم موسى كاظم الحسيني مظاهرة ، قدّم فيها احتجاجًا للحكومة البريطانية⁽¹⁾.

وفي عام 1919 م، وصلت إلى القدس لجنة أمريكية، بغرض استفتاء السكان حول تصريح بلفور ، وجاء في تقرير اللجنة:

- إن السكان يرفضون التصريح ويطالبون بالاستقلال والانضمام إلى سوريا.

- رفض الانتداب البريطاني.

- تشكيل مقاومه إسلامية - مسيحية ضد الصهيونية.

- قيام وطن قومي لليهود يعتبر تهديدًا لكل فلسطين.

- أوصحت اللجنة أن غرض اليهود هو تشريد السكان العرب من بلادهم.

- لا يمكن تنفيذ هذا المشروع إلا بالقوة.

- الحد من هجرة اليهود إلى فلسطين.

- إلغاء فكرة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين⁽²⁾ ، ولكن بريطانيا لم تهتم بتقرير اللجنة واستمرت

في تنفيذ مخططاتها " رغم اعترافها بأن البريطانيين في فلسطين يواجهون مواطنين محليين يهيم عليهم السخط الشديد بدافع الشعور بالغبين وخيبة الأمل ، ويلفهم الذعر بشأن مستقبلهم ، ونتيجة ذلك فإن 90 % منهم يكونون عدا شديدا للإدارة البريطانية⁽³⁾ .

ومن أجل إقامة وطن قومي لليهود، بدأت بريطانيا بأخذ أراضي العرب في يافا . وسلمتها لليهود المستعمرين ، لهذا عملت بعض الشخصيات السياسية الفلسطينية من أجل وقف تنفيذ ما جاء في تصريح بلفور ، ومع مرور الأيام اشتد العداء بين العرب واليهود ، وتحول هذا العداء إلى صدامات ، ففي عام 1920م، قتل تسعة من اليهود، وأربعة من العرب، وجرح حوالي 250 يهوديًا و 21 من العرب⁽⁴⁾ .

1- شوفاني إلياس ، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949م ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1996 م، ص 40.

2- الدباغ، مصطفى مراد، مرجع سابق، ص 240.

3- درويش، مصطفى، مرجع سابق، ص 138.

4- الدباغ، مصطفى مراد، مرجع سابق، ص 248.

وبهذا الصدد يقول العارف: "ولقد ازداد التوتر في البلاد ، فحدثت في يافا اضطرابات أدت إلى اقتتال العرب واليهود، فأُقتلت المدينة، وسادت الفوضى ، وامتد لهيب الاضطرابات إلى المستعمرات اليهودية ، فقتل من جراء ذلك 95 فرداً؛ منهم 48 من العرب و 47 من اليهود، وتألّفت لجنة برئاسة قاضي القضاة السير " توماس هيكرافت "للتحقيق في أسباب الاضطرابات ، فقالت هذه اللجنة في تقريرها إن الاضطرابات ناشئة عن الشعور السائد في البلاد ضد اليهود ، وهذا ناشئ عن خطة الحكومة فيما يتعلق بالوطن القومي ⁽¹⁾ .

وهذا لم يثن بريطانيا، بل استمرت في سياستها العدائية ضد العرب هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى، استمرت في دعمها لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وبهذا الخصوص كتب صموئيل إلى تشرشل: "إن العديد من المستعمرات اليهودية في مختلف المناطق قد تعرضت للهجوم، وكان من الضروري إرسال عدد من مفارز من الجنود والسيارات المدرعة والطائرات والشرطة إلى عدد من الأماكن المختلفة، ومطالبة السلطات بإرسال السفن الحربية إلى يافا وحيفا كإجراء احترازي ⁽²⁾ .

وترجم هذا الدعم عملياً؛ عندما أخذت بريطانيا في تقديم السلاح لليهود وتدريبهم عليه، أما العرب فلمه السجن، وعليهم عقوبة الإعدام، إذا ثبت أنهم يحملون السلاح ضد اليهود ⁽³⁾ .

ثانياً / السير " هربرت صموئيل " وهجرة اليهود إلى فلسطين والصدامات العسكرية:

1- الأوضاع السياسية:

جابه الشعب الفلسطيني طوال ثلاثين عامًا من الحكم البريطاني، نوعًا فريدًا ومتميزًا من الانتداب، لا يشابهه ولا يضارعه أي انتداب آخر في أي مكان في العالم ، ذلك أن الانتداب البريطاني جاء بهدف تحقيق الوطن القومي اليهودي ⁽⁴⁾ ، وهذا الهدف قد جعل من طبيعة السياسة العربية في فلسطين، ومن مؤسساتها، نماذج فريدة وغريبة؛ لا تمت بصلة من حيث الأشكال الخارجية والأوصاف العامة إلى الدول المتقدمة والمعاصرة ، ولا حتى إلى الدول العربية المجاورة والمحيطة بها والتي ترتبط بها تاريخيًا وجغرافيًا. وقد شاركت فلسطين في منطقة الجوار العربي؛ في المؤسسات السياسية المشتركة، وفي النضال المشترك ضد السلطة العثمانية، إلا أن اختلاف المصير أدى إلى اختلاف التجربة السياسية فيما بعد؛

1- العارف، عارف باشا، تاريخ القدس، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، 2002، ص 134.

2- حسونة، خليل إبراهيم، الثورة الشعبية الفلسطينية، ثورة 1936 م نموذجًا، غزة، المركز القومي للدراسات والتوثيق، الطبعة الأولى، 2001م، ص 31.

3- الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني الدراسات الخاصة، المجلد الثاني - الدراسات التاريخية، الطبعة الأولى، بيروت، 1990 م، ص 1047

4- عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، الطبعة الثامنة، 1981 م، ص 151.

فتصرّح " بلفور " اقتصر على فلسطين وحدها، لهذا لا ينحصر الاختلاف ما بين انتداب بريطاني أو انتداب فرنسي مثلاً ، وإنما ينحصر؛ ما بين هذا الانتداب البريطاني، وأي انتداب بريطاني آخر سواء. ولنأخذ مثلاً على ذلك الاختلاف؛ مصير فلسطين ومصير العراق أو الأردن ، فعلى الرغم من أن هذه الأقطار الثلاثة قد جابهت الحكم البريطاني ، إلا أن العراق تمكن من خلال مؤسساته السياسية المحلية من التطور التدريجي ، كما تمكنت المقاومة العراقية من الوصول إلى مرتبة الدول المستقلة. وفي الأردن ، وافقت بريطانيا على تنصيب أمير عربي عليه ، كما وافقت على قيام مؤسسات للحكم في الإمارة؛ كمجلس للوزراء، ومجلس تمثيلي للشعب، بصرف النظر عن مدى الممارسة الفعلية من قبل هذه المؤسسات للحكم، إلا أن قيام مؤسسات مشابهة ولو ظاهرياً في فلسطين كان أمراً مستحيلاً؛ نظراً لارتباط بريطانيا بإقامة دعائم الوطن القومي اليهودي.

وبالنسبة إلى اليهود، لم يشجع الانتداب على قيام مؤسسات سياسية خاصة توطئة للحكم الذاتي ، وإنما أوجدها بحكم القانون ، فكانت لهم الوكالة اليهودية ، وهي حكومة ضمن حكومة، وكان لهم مجلسهم المنتخب، ولهم أحزابهم السياسية ، ومؤتمراتهم الصهيونية العالمية، التي كانت ترسم لهم سياستهم المحلية في فلسطين، أما بالمقابل في الجانب العربي ، فقد كانت معارضة الانتداب لإنشاء المؤسسات السياسية الخاصة بهم معارضة مستمرة ، كما استمرت محاولات الانتداب لعزل شعب فلسطين عن المشاركة العربية الخارجية والمعونة العربية بأي شكل كان.

ولم تكن فلسطين قبل الانتداب بلداً مستقلاً ، وبالتالي لم يتمتع شعبها بحقوقه السياسية الكاملة في الحكم والسيادة ، بل كان شعباً محكوماً من قبل الدولة العثمانية، وطامحاً إلى الاستقلال، وإلى التمتع بممارسة حقوقه السياسية، ووعوفاً عن أن ينال ذلك بعد الثورة العربية والحرب العالمية الأولى، كانت المفاجأة للشعب الفلسطيني بأن الانتداب البريطاني الذي جاء بحجة مساعدته على النهوض إلى مرحلة الحكم الذاتي المستقل، قد تأمر بشتى الوسائل كي يجرمه من حقوقه المشروعة.

وإن عدم خوض الشعب تجربة سابقة في الحكم والمستوى السياسية، قد جعل من مرحلة مجابهته للانتداب في العشرينات هي مرحلة التجربة الأولى في تاريخه المعاصر. هذه التجربة لم تكن سهلة ، فبالإضافة إلى الأوضاع القانونية والسياسية الجائرة ، كان هناك لطبيعة العقلية السياسية السائدة الأثر الفعال ، ونتيجة لها ما كان بالإمكان أن تتولد قيادات سياسية ذاتية حديثة بمقياس الحداثة والتطور في ذلك الوقت ، لقد كانت القيادات السياسية هي وليده العقلية السياسية السائدة ، وهي الحاكمة عليها والمحكومة لها في الوقت نفسه.

وأبرز خصائص تلك العقلية أنها كانت نابعة من التركيبة الاجتماعية الموروثة من القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى ، والتي تعتبر فيها العائلات الوجيبة ذات النسب على قمة هرم المجتمع ، ولذلك

فقد كان من المقاييس القيادية ضرورة انتاء القادة والزعماء إلى العائلات الوجيبة المعروفة ، وهى تلك العائلات التي كان نفوذها يتعزز بمقدار ما تمتد جذورها في الماضي ، فيرتبط نسبها بأحفاد الرسول- صلي الله عليه وسلم – أو بالقبائل العربية الكبيرة وبماثر مختلفة يتباهي بها ، وكانت هذه المميزات تجعل من السهل على أي من هؤلاء الزعماء المعروفين منذ العهد العثماني أن يترأس مؤتمراً أو وفدًا.

وبسبب وجود الانتداب البريطاني، والخطر الصهيوني، وقفت جميع القيادات والشعب يدا واحدة؛ من أجل التصدي لها، من هنا فالبنية السياسية قد تأثرت إلى حد بعيد وإلى درجة أصبح معها أكبر الأحزاب السياسية قائماً على تلك العقيلة.

2- السير هربرت صموئيل :

بناء على قرار الانتداب الذي صدر في 20 ابريل 1920 م، عينت الحكومة البريطانية السير "هربرت صموئيل" مندوباً سامياً على فلسطين⁽¹⁾، وقد شغل سابقاً منصب مستشار دوقية لانكستر ، كما شغل منصباً وزارياً ، وقد كان أحد كبار اليهود الصهاينة، وكان الهدف من تعيينه هو إرضاء اليهود وبعث الطمأنينة في نفوسهم.

وقد سبق وأن قدّم "هربرت صموئيل" مذكرة إلى الحكومة البريطانية في عام 1915 م، وإلى عدد من النواب في البرلمان البريطاني، وبتحليل هذه المذكرة، نجد يقترح تأسيس دولة يهودية في فلسطين تحت إشراف بريطانيا، ويُبين فيها الفوائد الاستعمارية المهمة التي ستجنيها بريطانيا من هذه الدولة، وأن هذا المشروع يبعد فلسطين عن السيطرة الفرنسية ، لأن تمركز قوة أوروبية كبرى يمثل هذا القرب من قناة السويس يشكل تهديداً خطيراً ومستمراً للخطوط الأساسية للإمبراطورية البريطانية، وكذلك يجب أن تبعد فلسطين عن التدويل لأن التدويل في هذه الحالة قد يكون خطوة تمهيدية للمحمية المائية ، كما أن إنشاء هذه الدولة اليهودية في فلسطين سيكون حامية لمصر، ومن وجهة نظر صموئيل أيضاً أن تقدّم بريطانيا التسهيلات إلى المنظمات اليهودية؛ لكي تقوم بشراء الأراضي وتأسيس المستعمرات وإقامة المؤسسات الثقافية والدينية، وأن تعطى الهجرة اليهودية الأفضلية بحيث يمكن للسكان اليهود بعد أن يصبحوا الأكثرية ويستقروا في الأرض، أن يعطوا درجة من الحكم الذاتي ، ولقد وافق على المذكرة السياسيين البريطانيين النافذين أمثال " : بلفور "و" لويد جورج . "ولقد مثلت هذه المذكرة نموذجاً للتخطيط الاستعماري البريطاني في فلسطين.

وصل "هربرت صموئيل" فلسطين في 30 يونيو 1920 م، وقد ذكر أنه كان عازماً على إنشاء مجلس استشاري من موظفي الحكومة إلى جانب عشرة أعضاء من الطوائف الثلاث، وفعلاً تم إنشاء المجلس، إلا

1- درويش مصطفى ، مرجع سابق، ص138.

أنه منذ إنشائه كان مشلول الإرادة؛ بحكم السيطرة البريطانية عليه ، وعمل " صموئيل " على فتح أبواب الهجرة اليهودية على مصراعها إلى فلسطين أمام يهود العالم ، ففي خمس سنوات دخل فلسطين حوالي خمسين ألفاً منهم ، واللافت للنظر هو أن آخر الحكام العسكريين البريطانيين كتب يقول : "إن حاخام اليهود الأكبر في فلسطين" إبراهيم اسحق كوك "ومجلس الرابانيين اليهود أن اليهود قد تسلموا المسجد الأقصى جميعه" ⁽¹⁾.

ولهذا الأمر ولغيره، عُقدت العديد من المؤتمرات الفلسطينية، للمطالبة بإلغاء تصريح بلفور، ورفع الظلم عن الشعب الفلسطيني، في الفترة 1919 م - 1925 م وكان الهدف من هذه المؤتمرات التأكيد على الاستقلال ضمن الوحدة العربية ، وتعبئه الجماهير لمقاومة المشروع الصهيوني.

أما مؤتمر القدس الذي عُقد في القدس عام 1921 م وحمل اسم :مؤتمر القدس الكبير ⁽²⁾ فقد كان أكثر المؤتمرات فاعلية وطالب بالآتي:

- رفض الانتداب البريطاني.

- رفض تصريح بلفور.

- إقامة حكم نيابي ديمقراطي.

- الوحدة مع الدول العربية.

- تشكيل وفد من أعضاء المؤتمر ، بغرض حمل هذه المطالب للغرب.

وفعلا سافر الوفد، وعاد أدرجه، بعد أن وجد كل طرق الغرب مغلقة أمامه، ونلاحظ أنه في عهد "هربرت صموئيل"، جرت أربع محاولات لتأسيس مجالس استشارية وتشريعية، إلا أن هذه المحاولات كلها فشلت، والسبب الرئيسي لهذا الفشل يكمن في حقيقة أن معظم سكان فلسطين من العرب ، فأى مجلس انتخابي إذن، وفق أبسط الشروط المعروفة للمجالس الانتخابية عادة ، لابد أن يؤدي بالنتيجة إلى تفوق عدد الممثلين العرب ، وبالتالي إلى تغلب قراراتهم السياسية على قرارات اليهود، من هنا كانت القوانين والأنظمة المقترحة لإنشاء هذه المجالس، لا تترك لها دور تقوم به سوى الدور المطيع للمندوب السامي.

وقد ألف " صموئيل " أول مجلس استشاري في الأول من أكتوبر عام 1920 م ، نصفهم انجليز، والنصف الآخر؛ منهم أربعة مسلمين وثلاثة مسيحيين وثلاثة يهود، ويتبين من ذلك أن العرب لا يملكون أكثر من سبعة أصوات، عينوا وفقاً لرأي المندوب السامي، ليس وفقاً لرغبات الشعب ⁽³⁾.

1- الدباغ مصطفى مراد: مرجع سابق، ص 247.

2- حسونة خليل إبراهيم: مرجع سابق، ص 31.

3- هيكال يوسف : القضية الفلسطينية - تحليل وهد ، مطبعة الفجر ، يافا ، 1937 م، ص 96.

وفي عام 1923 م، عرضت الحكومة البريطانية تكوين وكالة عربية تمتلك صلاحيات الوكالة اليهودية نفسها، إلا أنّ هذا المشروع تم رفضه من العرب. واستمرت بريطانيا في سياستها الهادفة إلى إنشاء وطن قومي لليهود، فكان المستشار القانوني اليهودي "نورمان بنتوين" يسن القوانين وكان المندوب السامي "صموئيل" ينفذها، وفي شهر أغسطس 1923 م، عُقد المؤتمر الصهيوني في "كارلسباد"، وطالب بإنشاء مؤتمرًا يهوديًا عالميًا ليحل محل الوكالة اليهودية، وعندما انعقد المؤتمر الصهيوني التالي عام 1925م، وافق على الفكرة، وكان الهدف من المؤتمر الصهيوني العالمي الآتي:

- دعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين.
- نقل ملكية الأراضي للمهاجرين اليهود.
- دعم الاستيطان الزراعي.
- نشر الثقافة اليهودية.
- حث أغنياء يهود العالم على دعم إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين.

3- قضية حائط البراق وتداعياتها :

يعتبر حائط البراق جزءًا من الحائط الغربي للحرم الشريف، وفي داخله من جهة ساحة الحرم غرفة يعتقد أنها المكان الذي رُبط فيه "البراق"؛ مطية النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء، لهذا عرف باسم "حائط البراق"، أما اليهود فيعتقدون أن حائط البراق هو جزء من الحائط الخارجي الغربي لهيكلهم القديم المزعوم - هيكل سليمان - ويسمونه "حائط المبكى"، وقد اعتادوا على زيارته وإقامة الصلاة أمامه، بإذن من المسلمين الذين يعتبرون الحائط وجواره جزءًا من الحرم الشريف وهو بذلك تابع للأوقاف الإسلامية. وفي عام 1925 م، اختلف اليهود مع المسلمين، بسبب إحضار اليهود بعض الأمتعة عند حائط البراق، وهذا التصرف كان مخالفًا لما تم الاتفاق عليه مع المسلمين، وهدف اليهود من وراء ذلك هو؛ أن يقيموا كنيسًا يهوديًا بالقوة في المكان الذي يقده المسلمون تقديسًا خاصًا، وقد قاموا بنشر ذلك في الصحف والنشرات الخاصة بهم، ونشروا تصريحات زعمائهم التي ترمي إلى جعل الحائط الغربي موقعًا عظيم الشأن، ورمزًا أو عوضًا عن الهيكل المزعوم⁽¹⁾.

ثم بدأ النزاع يتخذ طابع الحدة والمواجهة منذ أواخر سبتمبر 1928 م، وكانت ردة الفعل الإسلامية، أن عقد العرب اجتماعًا في المسجد الأقصى في 30 سبتمبر من العام نفسه، وتم تشكيل لجنة أطلق عليها اسم "لجنة الدفاع عن البراق الشريف"، وأخذ التوتر يمتدح المدن الفلسطينية، واشتد نشاط جمعيات الشبان المسلمين.

1- جريدة الجامعة الإسلامية: العدد 169، الأول من أكتوبر، 1919 م، ص 4.

وفي نوفمبر 1928 م، عقد المؤتمر الإسلامي في القدس، وأهم ما تمخض عنه هو تشكيل جمعية حراسة الأقصى والأماكن الإسلامية المقدسة، ويكون مركزها القدس، وتتعاون مع لجنة الدفاع عن البراق الشريف⁽¹⁾، وفي نوفمبر من عام 1928 م، أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض بشأن البراق، وقد كفل المحافظة على الحالة الحاضرة، وضمن الملكية الإسلامية للحائط، كما ضمن لليهود الحق بالزيارة بهدف العبادة، إلا أن الحكومة البريطانية لم تطبق منه شيئاً، واتبعت أسلوب الماطلة.

وانعقد مؤتمر صهيوني بعد صدور الكتاب الأبيض مباشرة، وكانت قضية البراق "حائط المبكى" هي القضية الرئيسية في المؤتمر، وطالب المؤتمر من الحكومة البريطانية نقض الكتاب الأبيض، فاحتج المسلمون على ذلك، وقالوا إن ادعاء المؤتمر الصهيوني المنعقد في زيورخ هو محاولة ادعاء حقوق لا أساس لها في البراق، وهي دعاية ترمي إلى أغراض صهيونية⁽²⁾.

وفيما بعد أخل اليهود بالحالة الحاضرة للبراق التي أقرها الكتاب الأبيض، ففي عيد الغفران احضروا معهم بعض الأمتعة إلى حائط البراق⁽³⁾.

وهنا ثار غضب المسلمين، وتحول الغضب إلى اشتباكات، وأخذت الاشتباكات تتوالى حتى حصل الانفجار الكبير يوم الجمعة في 23 آب "أغسطس 1929 م، وغُرف هذا الانفجار في التاريخ "ثورة البراق"، ووقفت السلطة البريطانية إلى جانب اليهود، وكانت النتيجة عشرات القتلى والجرحى من الجانبين⁽⁴⁾.

وعلى أثر هذه الأحداث، قام وزير المستعمرات بتشكيل لجنة، أطلق عليها اسم لجنة البراق للتحقيق⁽⁵⁾ وأصدرت اللجنة توصية، نصت على إبقاء وضع حائط البراق على ما كان عليه.

3-1 تشكيل لجنة "شو" للتحقيق ومهمتها:

عينت الحكومة البريطانية على أثر الأحداث السابقة لجنة تحقيق برئاسة السير وعضوية ثلاثة نواب من البرلمان البريطاني؛ يمثلون " - walter shaw - والتر شو الأحزاب السياسية الثلاثة، وكلفت اللجنة بالتحقيق في أسباب الاضطرابات، وبعد إكمال إجراءاتها، عادت اللجنة إلى لندن وقدمت تقريرها عام 1930م.

1- درويش مصطفى: مرجع سابق، ص 140.

2- جريدة الجامعة الإسلامية: العدد 169، الأول من أكتوبر، 1919 م، ص 3.

3- كن هنري، القدس، ترجمة: الراهب إبراهيم، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1997 م، ص 32.

4- ارشيدات عصام وآخرون، مرجع سابق، ص 167.

5- الديباغ مصطفى مراد، مرجع سابق، ص 260.

وقالت اللجنة إن أسباب الاضطرابات تعود إلى شعور العرب نحو اليهود؛ بسبب خيبة أمانهم السياسية والوطنية ، وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي ، وخشية أن يسيطر عليهم اليهود سياسيًا بسبب الهجرة اليهودية وانتقال نسب كبيرة من الأرض إليهم ، ولاعتقادهم أن قرارات حكومة لندن تتأثر بالاعتبارات السياسية لمصلحة اليهود.

وأوصت اللجنة بضرورة إصدار الحكومة البريطانية بيانًا صريحًا واضحًا حول سياستها في فلسطين، ووجوب الوصول إلى طريقة لحماية المزارعين العرب والحيلولة دون إجلائهم عن الأراضي التي يزرعونها. وكان رد الحكومة البريطانية على اللجنة، أن قامت بكسر شوكة الهيئات الوطنية الفلسطينية ، وهيبة القيادات والزعامات العربية كلها؛ وذلك عندما رفضت وساطة بعض زعماء القيادة الفلسطينية، حتى لا تقوم بريطانيا بإعدام المناضلين الثلاثة، لكن بريطانيا أصرت على الإعدام؛ فأعدمت : محمد جمجوم، وفؤاد حجازي، وعطا الزير، وهم من مجموع ستة وعشرين عربيًا، صدرت بحقهم أحكام الإعدام ، لقد تحول اليوم الذي أعدموا فيه وهو 27 يونيو 1930 م، إلى يوم خالد في تاريخ فلسطين، تجسدت فيه كل معاني الوطنية والبسالة والكرامة، التي قامت من أجلها ثورة البراق.

2-3 جون هوب سمبسون ومهمته في فلسطين:

بناء على توصية لجنة والترشو⁽¹⁾، أوفدت الحكومة البريطانية إلى فلسطين " جون هوب سمبسون " الخبير العالمي بمسائل الإسكان والهجرة ، وبعد دراسته للأوضاع، كتب في تقريره، أن أكثر من 29 % من العائلات العربية القروية أصبحت من دون أراضي ، وأن الأراضي الصالحة للزراعة لدى العرب، لا تكفي لضمان معيشتهم والحفاظة على مستواها، وهذا بسبب سياسة الحكومة ، ثم إن دستور الجمعية الصهيونية ينص:

- على أن تبقى الأرض التي تسجل باسم الصندوق القومي اليهودي غير قابلة للانتقال إلى الأبد.
- يقتصر استخدام العمال على اليهود فقط، وعلى المستأجر أن يتعهد بذلك في العقد.
- واقتراح التقرير وجوب إلغاء تلك الشروط والقيود في عقود الاستعمار اليهودية ومؤسساته ، واقتراح إيفاد بعثة تنموية إلى فلسطين.

وتنفيذاً لتوصية لجنة " شو " أوفدت لندن " لجنة البراق الدولية "؛ للبحث في ملكية لبراق ، وأهم ما جاء في تقريره ١ ، أن ملكية الحائط الغربي تعود للمسلمين وحدهم " حائط البراق " ، ولهم وحدهم الحق العيني فيه؛ لكونه يُعد جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف ؛ التي هي من أملاك الوقف ، وللمسلمين

1- الدباغ مصطفى مراد، مرجع سابق، ص 249.

أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط، لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي⁽¹⁾.

والخلاصة، أن هذا يثبت للمسلمين حقاً لم يكن في وقت من الأوقات موضع شك ولا جدل، وإنما تم تثبيته باعتراف رسمي، كما يثبت لليهود حقوقاً كانت دائماً موضع شك وجدل.

وعلى الرغم من اعتراف التقرير بالملكية المطلقة للمسلمين، فقد كانت ردود الفعل عليه هي الاحتجاج والرفض من قبل اليهود، لأنه أثبت مشروعية حق المسلمين في الحائط، وحرمة اليهود من حق التصرف فيه كما يشاءون، والغريب هو أن اللجنة نظرت إلى النزاع القائم من الزاويتين السياسية والإدارية بدلا من اعتبار التقرير من المبادئ الحقوقية العامة.

شعرت الحكومة البريطانية بوجوب توضيح سياستها في تلك المرحلة، وخاصة أنها أرسلت ثلاث لجان للتحقيق في عام واحد، لهذا أصدرت كتابها الأبيض في أكتوبر عام 1930 م. وعلى الرغم من أن الكتاب أكد للصهاينة وجوب تنفيذ صك الانتداب الذي ينص على إنشاء وطن قومي لليهودي، فقد ثارت الصهيونية ضده؛ لأنه أعلن أن الهجرة تتوقف، بسبب وجود عدد لا بأس به من العاطلين عن العمل من العرب واليهود، وأنه لا توجد في فلسطين أرض زائدة لإسكان اليهود الجدد، وأوضح أيضاً أن الأراضي الزراعية، مساحتها أقل بكثير مما تقول المصادر الصهيونية⁽²⁾.

واللافت للنظر أنه في تلك الأثناء كانت تجري المعاملات الرسمية لإدخال 1500 مهاجر يهودي جديد إلى فلسطين.

وفي تلك الفترة كانت الصهيونية تتمتع بنفوذ عالمي واسع، لهذا مارست سياسة الضغط على بريطانيا؛ هذا الضغط الذي عبّرت عنه استقالات بعض الزعماء الصهاينة المقيمين في لندن؛ وعلى رأسهم "وايزمان" رئيس الوكالة اليهودية العالمية، والغريب أن الأمر وصل إلى درجة تهديد بريطانيا، بنقل مقر الوكالة اليهودية من لندن إلى نيويورك إذا أصرت بريطانيا على العمل بالكتاب الأبيض⁽³⁾.

أدركت الحكومة البريطانية أبعاد التهديد الصهيوني سياسياً واقتصادياً، فتراجعت عن الكتاب الأبيض، من هنا بدأ السياسيون، والوطنيون الفلسطينيون في التفكير الجدي بإنشاء الأحزاب السياسية، و أطلق العرب على الكتاب الجديد الذي أصدرته بريطانيا عند تراجعها عن الكتاب الأبيض اسم الكتاب الأسود، وتعد مرحلة صدوره نهاية مرحلة سياسية امتدت طوال عشرة سنوات، وانتهت بالفشل الذريع؛

1- جريدة الجامعة الإسلامية، يونيو 1931، ص 7.

2- الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص 1056.

3- جريدة الجامعة الإسلامية، مارس 1931، ص 3.

لأن أسلوب المفاوضات السياسية بين حكومة الانتداب وقيادة الشعب الفلسطيني السياسية كانت قائمة على التجيز لليهود . وفي تلك الفترة عُين مندوب سام جديد في فلسطين، وهو السير " آرثر واكهورب".

3- الموقف السياسي الفلسطيني في الثلاثينات من القرن العشرين:

كان المجتمع السياسي الفلسطيني حتى بداية الثلاثينات، يدور حول ذاته في دائرتين متشابهتين ، الدائرة الأولى تضم قطبين متناقضين يمثلان الفريقين المتخاصمين دوماً ، وهما الفريق الحسيني والفريق النشاشيبي ، وفريق الحركة الوطنية والفريق المعارض لها ، وقد أدى ذلك الخصام الدائم بطبيعة الحال إلى ضعف الحركة الوطنية العامة ، خاصة وأن الخصام كان عائداً في الكثير من الحالات عند السياسيين إلى المصالح العائلية والذاتية.

الدائرة الثانية والمشابهة للأولى، لم تختلف عنها نوعياً ، فقد كان محورها اللجنة التنفيذية، التي ضمت بين أفرادها منذ المؤتمر السابع مندوبين اثنين من كل مدينة ، باستثناء بعض المستقلين، وهنا يمكن القول بشكل عام إنه إذا كان أولهما محسوباً على " النشاشيبي فثانيهما محسوب على " الحسينية " والعكس بالعكس، وبذلك غدت اجتماعات هذه اللجنة بحكم تركيبها خاضعة للمؤتمرات السياسية نفسها ، إلا أنه بقيت هناك ميزة وحيدة للدائرة الثانية افتردت بها، وهي وجود رئيس لها وهو موسى كاظم الحسيني الذي كان مرجعاً للأعضاء كلهم، وموضع احترامهم، وهذا ما جعل اللجنة قادرة على المحافظة على هيكل خارجي موحد، وإخفاء التناقضات الداخلية.

إزاء هذا الواقع كان لابد من قيام مؤسسات سياسية جديدة، وقد قامت مجموعة منها في الثلاثينات، واتخذت لنفسها صفة الحزب السياسي ، بعض هذه الأحزاب كان جديداً على المجتمع السياسي بالفعل هدفًا وأسلوبًا وأداة ، وبعضها كان مجرد عملية انتقال من الهياكل القديمة إلى هياكل جديدة متطورة؛ على الصعيد الجوهري وعلى الصعيد الشكلي.

بعد أن درس " واكهورب " الوضع السياسي والاقتصادي والأمني في فلسطين ، في البداية تظاهر بوقوفه إلى جانب الفلاحين الفلسطينيين ، ومن الناحية الأخرى فتح أبواب فلسطين أمام هجرة اليهود، وبهذا الصدد يقول العارف " : ولما هبط هذا- واكهورب -القدس في أول أيلول 1930 م، رأى أمامه بلاذاً تنقلي على جمر الثورات والقتل، وشعباً مثقلاً بالضرائب ، واستياء يشمل جميع الطبقات ، فأبدى اهتماماً بالفلاحين ، خفض عنهم الضرائب، وراح يمدحهم بالقروض الزراعية ، فما لبث هؤلاء أن لقبوه بصديق الفلاح، ولو علموا أن سياسته ستنتهي حتماً بإفنائهم وإفناء بلادهم ما فعلوا ، إذ أنه في الوقت الذي كان يمد فيه يده اليمنى إلى الفلاحين، كان يمد يده اليسرى إلى اليهود ، فسمح لهم بالهجرة إلى فلسطين ، ودخلها

منهم في السنوات الخمس التي قضاها في هذه البلاد مائتان وخمسون ألفاً، وسيطر اليهود في عهده على مساحات كبيرة من الأراضي⁽¹⁾.

3-1 المؤتمر الإسلامي عام 1931 م :

أصبح الموقف البريطاني السياسي المنحاز للصهيونية أكثر وضوحاً، فتأججت مشاعر العرب، وراحوا يتبادلون سخطهم واستياءهم من قادة لندن، وانتهى هذا الاستياء إلى عقد مؤتمر إسلامي، افتتح رسمياً في ديسمبر 1931 م، بدعوة من الحاج أمين الحسيني، حضره ممثلون من معظم البلدان العربية وبعض الدول الإسلامية، ومن أبرز الاقتراحات التي قدمت في المؤتمر إنشاء جامعة إسلامية في القدس، ومحاربة الاستعمار مهما كان شكله، وانتخب المؤتمر لجنة تنفيذية من 25 عضواً، مقرها القدس. ومن القرارات التي صدرت عن المؤتمر الآتي:

- يطالب المؤتمر بتسليم خط سكة حديد الحجاز، وهو الخط الذي أنشئ بأموال المسلمين، ويطلب بالتقيد بصك الانتداب بشأن عدم التعرض للأوقاف الإسلامية، وتنفيذ ما اعترفت به معاهدة لوزان من كون الخط وفقاً لإسلامياً.
- استنكار المعاملة السيئة التي لاقها زعماء طرابلس وبرقه ومجاهدوهم، وسائر قبائلهم من تقهيل وتشريد وسلب أملاك.

- استنكار الموقف الفرنسي القاضي بتنصير مسلمي البربر في المغرب العربي.
- استنكار الاستعمار بجميع أنواعه وفي أي قطر من الأقطار الإسلامية؛ وبالتحديد يستنكر المؤتمر السياسة البريطانية الاستعمارية في فلسطين، وكذلك في مصر والسودان، وفي بعض أقطار الجزيرة العربية⁽²⁾.

وأما القرارات الرئيسية والمتعلقة بالمؤتمر والأوضاع الداخلية في فلسطين فكانت:

- يُعقد المؤتمر بشكل منتظم مرة كل سنتين.
- إنشاء جامعة إسلامية باسم جامعة المسجد الأقصى.
- إسلامية البراق والتعاهد على الدفاع عنه.
- إيجاد دائرة معارف إسلامية.
- تأسيس شركة لإنقاذ الأراضي، ومساعدة الفلاحين والقرويين وأرباب الحرف على إيجاد شركات تعاونية للتسليف.

1- العارف عارف باشا، مرجع سابق، ص 135.

2- جريدة الجامعة الإسلامية، مارس 1932، ص 6.

- تأسيس اللجان المحلية في البلاد وتكون طريقة تشكيلها في كل بلد حسب مقتضيات البلد ⁽¹⁾ .
ومرور سنوات معدودات ، تقلصت قرارات المؤتمر الإسلامي ، وما من شك في أن النزاع الداخلي الفلسطيني-الفلسطيني ، هو السبب في تقلصها ، فالوحدة الوطنية لو كانت حقيقة قائمة لما كان باستطاعة الانتداب أن يحقق ذلك النجاح لصالح الحركة الصهيونية ، وقد كان الشاعر الباكستاني " محمد إقبال " صاحب رؤيا ثابتة عندما عبر عن أثر الوحدة الوطنية بهذه الكلمات " :إنني اعتقد أن مستقبل الإسلام متوقف على مستقبل العرب ، ومستقبل العرب متوقف على وحدة العرب ، فإذا تمت وحدتهم ، علا شأن الإسلام ⁽²⁾ .

إن هذه النظرية السياسية في الترابط الجذري بين العروبة والإسلام في فلسطين ، كان ميدانها الأخير هو المؤتمر الإسلامي العام. ولما انتهت أعمال المؤتمر الإسلامي طالب بعض السياسيين العرب بمؤتمر عربي ، وفلا عُقد المؤتمر في 13 ديسمبر 1931 م ، ووضعوا فيه ميثاقاً قومياً ينص على وحدة البلاد العربية ، ويرفض التجزئة ، ويدعو إلى مقاومة الأفكار الداعية إلى الاهتمام بالسياسة المحلية على حساب القضية القومية الأصلية ، ويرفض الاستعمار بكل صوره ، وكان هذا المؤتمر تجديداً لروح المقاومة العربية عامة وقضية فلسطين بخاصة.

2-2 اجتماع اللجنة التنفيذية العربية عام 1933 م :

- انعقدت اللجنة التنفيذية العربية عام 1933 م ، وقررت الآتي:
- العمل على القيام بمظاهرات في جميع المدن الفلسطينية.
- العمل على استنكار السياسة البريطانية في فلسطين.
- محاربة الاستعمار فكرياً وسياسياً.

وكان الرد على هذه القرارات ، أن أصدرت بريطانيا قانوناً يمنع المظاهرات والتكتلات السياسية ، لكن هذا القانون زاد من المظاهرات التي شارك فيها أعضاء اللجنة التنفيذية أنفسهم ، واصطدمت المظاهرات في القدس بالجنود البريطانيين ، فخرج أكثر من ثلاثين عربياً ، أما في يافا فقد بدأت فيها الثورة الفلسطينية الكبرى ، وعندما جاء الفلاحون والبدو بأسلحتهم للصلاة في جامع يافا الكبير ، خرجت المظاهرات إلى الشوارع بعد الصلاة ، ووصل عدد المتظاهرين إلى حوالي سبعة آلاف رجل ، ذهبوا إلى مقر الحكومة البريطانية وقدموا قائمة بعدة مطالب منها:

1- الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، ص 1053.

2- يوميات زعتر، أكرم، الحركة الوطنية الفلسطينية، 1935-1939م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الثانية، بيروت، سبتمبر

1992م، ص 38.

- وقف الهجرة اليهودية.

- وقف مصادره الأراضي الفلسطينية.

- عدم الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية.

ورد البريطانيون على هذه المطالب بفتح النار على المتظاهرين ، فقتلوا أكثر من ثلاثين فلسطينيًا ، وجرحوا أكثر من مائتين ، وبهذا تحول الجو السياسي إلى عنف تصادمي ، وضع البلاد في انهباء مستمر ، وفرضت بريطانيا حالة الطوارئ ، وهنا يقول العارف في هذا الشأن: " وتكهرب الجو في أواخر عام 1935م بسبب بيع الأراضي وتغلغل النفوذ اليهودي في إدارة الحكم ، ولا سيما تيار الهجرة الذي لم ينقطع ، وقد دخل البلاد في ذلك العام وحده خمسون ألف يهودي ، فقامت البلاد قومت رجل واحد" (1) .

3-3 وحدة الأحزاب السياسية الفلسطينية وتأسيس اللجنة العربية العليا:

شعر أهل فلسطين بازدياد المخاطر ، وأن بلادهم تضيع منهم شيئًا فشيئًا ، وأن الصهاينة يتغلغلون في البلاد ، لهذا اتحدت جميع الأحزاب السياسية ، وطالبت بالإضراب العام في إبريل عام 1936م (2) فأغلقت المدارس ، والمكاتب ، والدكاكين ، والمصانع ، واستمر الإضراب ستة شهور ، وقد شارك في الإضراب أعيان البلاد ، أما الأحزاب السياسية التي توحدت تحت شعار المقاومة هي : حزب الاستقلال العربي بقيادة عونى عبد الهادي ، وحزب الدفاع الوطني بقيادة راغب الشاشيني ، والحزب العربي الفلسطيني بقيادة جمال الحسيني ، وحزب الإصلاح بقيادة الدكتور حسين الخالدي ، وحزب الكتلة الوطنية بقيادة عبد اللطيف صلاح.

مع تكرار المواقف السياسية البريطانية المناهزة لليهود ، فهمت الأحزاب السياسية الفلسطينية ، وفهم الشعب أنه لا فائدة من بريطانيا ، ولهذا عملوا على تأسيس " اللجنة العربية العليا " ، وتم انتخاب الحاج أمين الحسيني رئيسًا لها (3) ، وأحمد حلمي عبد الباقي أمينًا للمال وعونى عبد الهادي أمينًا لسرها . في 25 أبريل عام 1936 م ، اجتمعت اللجنة العربية العليا وقررت ما يلي:

- العمل على استمرار الأحزاب .

- منع الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

- منع بيع وانتقال الأراضي لليهود .

- تأسيس حكومة وطنية

1- العارف عارف باشا ، مرجع سابق ، ص 155 .

2- الأزعر ، محمد خالد ، جيش الجهاد المقدس في فلسطين 1931 - 1949م ، المركز القومي للدراسات والتوثيق ، الطبعة الأولى ، غزة ، 2000م ، ص 15 .

3- درويش مصطفي ، مرجع سابق ، ص 143 .

وفي شهر مايو من العام نفسه ، عقدت اللجنة العربية العليا مؤتمراً عاماً ، حضره حشد كبير من الشعب ، أيدوا قرارات اللجنة التي اتخذت في الاجتماع الأول وأضافوا إليها بنداً ينص على عدم دفع الضرائب. وكان رد حكومة لندن على قرارات اللجنة العربية العليا، أن فرضت قانون الطوارئ، واعتقلت عددًا كبيراً من المناضلين والسياسيين الفلسطينيين، وعززت مواقعها، وزادت قواتها لتنتشر في أرجاء البلاد⁽¹⁾.

الخاتمة :

من خلال ما سبق نؤكد على النتائج الآتية :

- لقد عمدت بريطانيا من أجل الاستيلاء والسيطرة على فلسطين، إلى التمهيد لهذه السيطرة من خلال اللقاءات والاجتماعات السرية والاتفاقات والمعاهدات التي تمت بين الدول الاستعمارية الكبرى.

- إن الصهاينة أدوا دوراً كبيراً في جعل فلسطين من حصة بريطانيا من أجل مساعدة الصهاينة وتحقيق وعود الحكومة البريطانية لليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، وكان وعد بلفور بمثابة اللبنة العلنية الأولى التي وضعها إنجلترا في بناء تهويد فلسطين كانت تتمثل في وعد بلفور، ذلك الوعد الذي بدأ الإنجليز ينفذونه بحماسة منذ دخلوا فلسطين.

- إنه وتنفيذاً لوعد بلفور عينت بريطانيا السير هيرت صموئيل أول مندوب سام على رأس إدارة مدنية في فلسطين، على الرغم من معارضة الفلسطينيين ، فسمح بهجرة اليهود إلى فلسطين، وعندها بدأ الفلسطينيون يدركون الدور الخبيث لبريطانيا في تمهيد الطريق لليهود لإقامة الوطن القومي لهم، حيث تم تنظيم المظاهرات والاحتجاجات والإضرابات، وتم استنفار جميع طبقات المجتمع الفلسطيني نحو مقاومة الهجرة اليهودية إلى فلسطين بكافة أشكال ووسائل المقاومة.

- لقد أصدرت الحكومة البريطانية كتاباً سمي بـ الكتاب الأبيض، وشرحت فيه أهدافها في فلسطين، وجاء في هذه الوثيقة أن الغرض لم يكن تحويل فلسطين بأكملها إلى وطن قومي لليهود، ومن جهة أخرى عقدت الحركة الوطنية الفلسطينية عدد من المؤتمرات رغم العقبات الكبيرة التي كانت تواجهها من قبل الانتداب البريطاني، وبدأت في المؤتمر الفلسطيني العربي الأول.

1- العارف عارف باشا، مرجع سابق، ص 157.